Journal of Humanities and Social Sciences
Volume (4), Issue (12): 30 Dec 2020
P: 94 - 113

ISSN: 2522-3380

مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية
المجلد (4)، العدد (12): 30 ديسمبر 2020 م
ص: 94 - 113

Inheriting the throne during the Mamluk era in Egypt in light of inscriptions on Mamluk coins

Elshahat Anwar Barakat

Faculty of Arts || Kafr El-Sheikh University || Egypt

Abstract: The study aimed to study the principle of inheriting the throne of the Mamluks, as inheriting the throne was one of the things that have no place in the shadow of the Mamluk state in its two parts, as the prevailing principle in governance in the Mamluk era was the principle of "authority for the one who overcame", where the one who possesses power Hegemony is the most worthy of power after the death or deposition of the existing Sultan, but the Mamluk era did not pass through periods in which the throne was inherited for some of the Sultans, as happened with the sons of Al-Zahir Baybars, and also during the era of the Bani Qalawun family, where the news and descendants inherited the throne for a period of time, But that was not a permanent matter, but rather an interim matter, until one of the princes was able to extract power from the existing Sultan, after proving his right and strength, and this matter remained followed until the end of the Mamluks' era. This was done through the historical method based on the writings that were received on the money, and the researcher concluded:

1- The inheritance of the throne existed in the Mamluk era, but for a few periods, because the Mamluks did not believe in this principle in the transfer of power.

2- The Mamluk's recognition of the principle of inheriting the throne was only part of their plan to reach the throne when their ranks were divided and one of them was above and showed his victory over other princes fighting with him.

3- That some of those who inherited the rule of the Mamluks were able to prove their competence and rule for long periods, such as Khalil bin Qalawun and Al-Nasir Muhammad Yin Qalawun.

4- The Mamluk doctrine never believed in the inheritance of the throne, and for you in spite of that, there were many cases of inheriting the throne in the Mamluk era.

and the researcher recommended the need to rely on writings and inscriptions on the monuments to document historical events accurately.

Keywords: Inheriting the throne - Mamluk State - Writings - Inscriptions - Coins - Money.

وراثة العرش في العصر المملوكي في مصر في ضوء النقوش الكتابية على النقود المملوكية

الشحات أنور بركات

كلية الآداب || جامعة كفر الشيخ || مصر

الملخص: هدفت الدراسة إلى دراسة مبدأ وراثة العرش عند المماليك، حيث إن وراثة العرش كانت من الأمور التي لا يوجد لها مكان في ظل الدولة المملوكية بشقيها، حيث إن المبدأ السائد في الحكم في العصر المملوكي كان مبدأ " السلطة لمن غلب"، حيث إن من يمتلك القوة والهيمنة هو الأحق بالسلطة بعد وفاة أو خلع السلطان القائم، ولكن لم يعدم العصر المملوكي المرور بفترات تم فيها توريث العرش لبعض أبناء السلاطين، مثلما حدث مع أبناء الظاهر بيبرس، وكذلك في عهد أسرة بني قلاوون، حيث ورث الأبناء والأحفاد العرش لفترة

من الزمن، ولكن ذلك لم يكن أمرا دائما، وانما كان أمرا مرحليا، حتى يتمكن أحد الأمراء من انتزاع السلطة من السلطان القائم، بعد إثبات أحقيته وقوته، وظل هذا الأمر متبعا حتى نهاية عصر دولة المماليك. وتم ذلك من خلال المنهج التاريخي مستندا للكتابات التي وردت على النقود، وتوصل الباحث إلى:

1- أن وراثة العرش وجدت في العصر المملوكي ولكن لفترات قليلة لأن المماليك لم يؤمنوا بهذا المبدأ في انتقال السلطة.

2- أن اعتراف المماليك بمبدأ وراثة العرش لم يكن سوى جزءا من خطتهم للوصول للعرش حينما تتمايز صفوفهم ويعلو أحدهم ويظهر غلبته على غيره من الأمراء المتصارعين معه.

3- أن بعض من ورثوا حكم المماليك استطاعوا أن يثبتوا كفاءة وتسلطنوا لفترات كبيرة من أمثال خليل بن قلاوون والناصر محمد بن قلاوون.

4- أن عقيدة المماليك لم تؤمن يوما بوراثة العرش ولكن على الرغم من ذلك وجدت حالات كثيرة لوراثة العرش في العصر المملوكي.

وأوصى الباحث بضرورة الاعتماد على الكتابات والنقوش على الآثار لتوثيق الأحداث التاريخية بشكل دقيق.

الكلمات المفتاحية: وراثة العرش – الدولة المملوكية – الكتابات – النقوش – المسكوكات – النقود.

المقدمة:

إن طبيعة نشأة وتربية المماليك وأصولهم جعلتهم يشعرون بالمساواة فيما بينهم، بحيث لا ميزة ولا فضل لأحدهم على الآخر، فجميعهم كانوا رقيقاً جيء بهم من بلاد بعيدة، وتمت تربيتهم وتدريبهم حتى أظهرتهم الأحداث، وهذا الإحساس بالمساواة انعكس على نظام الحكم طوال عصر المماليك، فآمن كل واحد منهم بأن له حقاً في تولي منصب السلطنة مثله مثل غيره من المماليك، وهذا ما دفعهم لإنكار مبدأ الوارثة في العرش، فكان السلطان يأتي في الغالب نتيجة لاختيار الأمراء له، وليس نتيجة لمبدأ الوارثة، فهو بذلك الأول بين أقرانه، وقد حاول بعض السلاطين البحرية أو البرجية إدخال المبدأ الوراثي في الحكم بتنصيب أبناءهم ليكونا حكاما من بعدهم، ولكن أمراء المماليك لم يأخذوا به، ولم يكن للابن الأكبر للسلطان حق ملزم لدى الأمراء في تولي السلطنة بعد أبيه، غير وصية أبيه له. (ماجد، 1979م، ص.27)

وإن كان قد اعتلى العرش في بداية حكم المماليك أو في خلال العصر المملوكي بشقيه بعض أبناء السلاطين، فانه كان مجرد وضع طارئ حتى يتم ترتيب الأوراق لدى الأمراء الأقوياء؛ للانقضاض على السلطة دون معارضة من باقي الأمراء، أي أنها كانت مجرد فرصة للسماح بالمنافسة بين الأمراء للوصول للعرش، بالتخلص من المنافسين أو استرضائهم.

مشكلة الدراسة:

تعد دراسة التاريخ محل تشكيك في بعض الأوقات، من أجل ذلك وجب على من يتعرض لكتابة التاريخ أن يكون دقيقا حذقا في إثبات الأحداث التاريخية من مصادرها الأولية قدر ما أمكن ذلك، ومشكلة هذه الدراسة يمكن صياغتها في التساؤل الآتي:

1- إلى أي مدى يمكننا الاعتماد على النقوش الكتابية على النقود المملوكية في دراسة وراثة العرش في العصر المملوكي في مصر؟

فرضيات الدراسة: تفترض الدراسة أن:

1- مبدأ وراثة العرش لم يكن يتمتع بالفعالية في العصر المملوكي بشقيه.

2- وجود مبدأ وراثة العرش في بعض الأوقات كان ضرورة تقتضيها الأحداث ولفترات قليلة.

أهداف الدراسة:

هذه الدراسة تتضح أهميتها من خلال معرفة الأهداف التي تمت من أجلها، ولهذه الدراسة العديد من الأهداف، هي:

1- أن يتعرف الدارس على الأسباب التي دفعت المماليك للقبول بمبدأ وراثة العرش في بعض الأوقات.
2- أن يستعرض الدارس طرائق انتقال السلطة في ظل وجود وريث للعرش في العصر المملوكي.
3- أن يتعرف الدارس على أوضاع وصلاحيات ورثة العرش في العصر المملوكي.

أهمية الدراسة:

1- توضح أن مبدأ وراثة العرش من الأمور الهامة في تاريخ دولة المماليك، لما كان له من أثر كبير في الصراع الدامي على السلطة بين الأمراء والورثة.
2- تبين الدراسة عمليات انتقال السلطة في العصر المملوكي في ظل وجود وريث للعرش لفترة مؤقتة، وما ينشأ عنها ذلك من صراع بين الأمراء حتى يتم خلع الوريث وتولي أحدهم للسلطة.
3- قد تفيد في إبراز قيمة تاريخية علمية جديدة للكتابات والنقوش المضروبة على النقود، كون النقود أحد أصدق المصادر في كتابة التاريخ؛ لما تحويه من كتابات تشهد على الأحداث وقت وقوعها وتؤرخ للحدث من قلبه وفي زمانه.
4- تفتح مسارا جديدا لدراسة الأحداث التاريخية من منظور آخر غير كتابات المؤرخين والرحالة.

1. منهجية الدراسة:

1- منهجية التحليل: اعتمد الدارس على المنهج الاسترادادي الوصفي مع المنهج التحليلي، وذلك حيث يقوم الدارس باستخدام المنهج الاسترادادي في جمع ووصف الأحداث ثم استخدام المنهج التحليلي في الربط بين الأحداث والكتابات المنقوشة على النقود المملوكية في تلك الفترة والتي تدعم وتؤكد المعلومة التاريخية وتثبت صحتها وتقطع المجال للشك فيها.
2- مصادر البيانات: اعتمد الباحث على بعض المصادر المكتوبة والمراجع العربية والتي سيتم ذكرها في المراجع الخاصة بالبحث، كما اعتمد الباحث على الكتابات الواردة على النقود المملوكية.
3- حدود الدراسة: احياء الخلافة العباسية في القاهرة في عهد الظاهر بيبرس عام 659هـ/ 1261م.

هيكلة الدراسة:

تم تقسيم هذه الدراسة إلى مبحثين، يتناول المبحث الأول منها: الإطار النظري للدراسة والدراسات السابقة، بينما يتطرق المبحث الثاني إلى: وراثة العرش في العصر المملوكي.

2. الإطار النظري والدراسات السابقة.

أولاً- الإطار النظري:

تتناول هذه الدراسة مبدأ وراثة العرش في العصر المملوكي، والذي ابتدعه الظاهر بيبرس البندقداري، والذي كان له أكبر الأثر في نشوب حالات الصراع فيما بعد، حتى نهاية العصر المملوكي، وعلى الرغم من عدم اعتراف

المماليك بهذا المبدأ، إلا أنهم وجدوا أنفسهم مضطرون في بعض الأوقات للقبول به كمرحلة انتقالية مؤقته، حتى يتمكن أحدهم من انتزاع السلطة بعد صراع مع الأمراء، وإثبات قوته للوصول للحكم.

ثانياً- الدراسات السابقة:

الحقيقة أن الكثير من المراجع المعاصرة التي تعرضت لوراثة العرش في العصر المملوكي، تناولت الموضوع بشكل عرضي، أثناء تناولهم الأوضاع السياسية في الدولة المملوكية، وكذلك المصادر التي عاصرت الحدث فقد تناولته دون التعرض للنتائج والأسباب والأحداث التي تتعلق بعملية انتقال العرش للورثة، لذلك قلت الدراسات والمراجع التي تتناول الموضوع بشكل شامل، ومن الدراسات التي تعرضت للموضوع ما يلي:

1. دراسة قاسم عبده قاسم (1998م) والعنونة بعصر سلاطين المماليك - التاريخ السياسي والاجتماعي – وتناولت الدراسة تاريخ الدولة المملوكية السياسي والاجتماعي، وتعرضت لوراثة العرش تعرضا في العصر المملوكي.
2. دراسة عبد المنعم ماجد (1979م) والمعنونة نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، وتعرضت لوراثة العرش من بعيد، في ذكر انتقال السلطة في العصر المملوكي.

وتختلف هذه الدراسة عن تلك الدراسات السابقة في كونها ستتناول الموضوع من ناحية أخرى، حيث الاعتماد على الكتابات التي وردت على نقود تلك الفترة لتوثيق وتصديق الأحداث وعملية انتقال السلطنة، كما أنها ستتناول الموضوع بشكل شامل من حيث أسباب القبول بمبدأ وراثة العرش وأهم الوقائع والأحداث المتعلقة به، وأثر ذلك على الدولة المملوكية.

المبحث الثاني- وراثة العرش في العصر المملوكي:

مبدأ الحكم عند المماليك:

لقد اعتمد الحكم في عصر دولة سلاطين المماليك على مبدأ واضح من أول يوم وهو " مبدأ الحكم لمن غلب " وقاتل السلطان يصير سلطانا، ولم يكن لدى المماليك أية قبول لمبدأ وراثة العرش، اللهم إلا ما افترضته عليهم الظروف، ولفترات مؤقتة، حتى يتمكن احدهم من انتزاع العرش انتزاعا، بعد إثبات أحقيته وقوته، وعلى الرغم من ذلك فقد سهد العصر المملوكي بعض الفترات التي انتقل فيها الحكم لورثة السلطان المنصرمة ولايته، مثلما حدث بعد مقتل الملك المعز أيبك، حيث اتفق الأمراء على سلطنة ابنه على (ابن إياس، 1983م، ص.295)، وذلك باقتراح من الأمير سيف الدين قطز، ولقبوه بالملك المنصور وخطب له على المنابر وضربت النقود باسمه (ابن كثير، 1988م، ص.196)، وتولى السلطنة وعمره خمس عشرة سنة، وأقيم الأمير قطز نائبا للسلطنة، ثم صار قطز مدبر الدولة. (المقريزي، 1997م، ص.405)

ولكن تنصيب المماليك لابن أستاذهم أيبك في تلك المرحلة المتقدمة من تاريخ الدولة المملوكية لم يكن إيمانا منهم في مبدأ وراثة العرش، ولم يكن قاعدة ثابتة منعقدة في أذهانهم، فهم أساسا لم يؤمنوا بهذا النظام في انتقال الحكم، وهذا ما جعل منصب السلطنة دوما منصب صراع ومؤامرات ومنازعات بين كبار الأمراء على مر عصر المماليك، عقب وفاة كل سلطان من السلاطين.

حيث كان الأمراء يجتمعون ويعينون ابن السلطان المتوفي كحل مؤقت إلى حين وضوح الموقف وظهور الأمير الأقوى من بينهم، فيسلطن نفسه ويعزل من عُين. (ابن تغري بردي، 1963م، ص.378)

ومن النقود الشاهدة على تولي المنصور نور الدين على بن أيبك سلطنة المماليك، ما يلي:

دينار ذهبي ضرب مدينة الإسكندرية عام 651 هـ، وجات كتاباته كما يلي:

الوجه: لا إله إلا الله/ محمد رسول الله/ أرسله بالهدى/ ودين الحق ليظهره/ على الدين كله/ أيبك/ الملك المنصور/ نور الدين علي بن/ الملك المعز.

الظهر: بسم الله الرحمن/ الرحيم ضرب هذا/ الدينار/ بالإسكندرية سنة/ إحدى وخمسين/ وستماية/ الامام المستعصم/ بالله أمير المؤمنين. (مهدي، 2008م، ص.246)

وهذا دينار ذهبي باسمه، ضرب مدينة الإسكندرية أيضا عام 657 هـ وكتاباته كما يلي:

الوجه: الحق/ لا إله إلا الله/ محمد رسول الله/ أرسله بالهدى/ ودين

الظهر: أيبك/ الملك المنصور/ نور الدين على بن/ الملك المعز. (عبد العظيم، 2009م، ص.495)

وهكذا يتضح لنا من خلال كتابات هاذين الدينارين أن المنصور نور الدين على تولى السلطة وتقلد شاراتها فضربت باسمه النقود ودُعي له على المنابر، وأرفق اسمه إلى أبيه، وذلك ليعطي لنفسه شرعية وقوة في الحكم في مواجهة المراء الطامحين للعرش.

وكذلك فإن تولي أولاد الظاهر بيبرس الحكم، لم يكن أيضا إلا جزءا من هذه السياسة العامة السائدة في دولة المماليك، والتي تقضي بأن يتولى ابن السلطان المتوفي الحكم، حتى يتمكن أحد الأمراء من فرض سيطرته وإظهار قوته، وينتزع السلطنة لنفسه.

فبعد وفاة بيبرس تولى الحكم ابنه السعيد بركة خان، توصية لوصية الملك الظاهر بيبرس، والذي كان قد عهد له في حياته، وأخذ بيعة الأمراء له قبل وفاته، ضمانا لتأييدهم له بعد موته، فطبع النقود باسمه، واتبع نفس طراز النقود التي أصدرها أبوه، حتى إنه احتفظ برنك السبع الخاص بالظاهر بيبرس وأمر بأن يطبع على السكة المختلفة له، ومن أمثلة السكة الذهبية لهذا السلطان والتي تدل على توليه العرش بعد أبيه وتؤكد على وراثته للعرش، دينار جاءت النصوص الكتابية عليه كما يلي:

الوجه: أمير المؤمنين/ الملك السعيد/ ناصر الدنيا/ والدين بركة قان/ بن الملك الظاهر/ قسيم.

الظهر: ضرب/ بالإسكندرية سنة/ ست وسبعين..../ لا اله/ إلا الله محمد/ رسول الله أرسله/ بالهدى ودين/ الحق.

وهكذا يتضح لنا من خلال كتابات هذا الدينار تولي السعيد بركة خان الحكم، بل وتلقب بألقاب أبيه كلقب قسيم أمير المؤمنين، كدليل على وراثته الحكم بألقابه وشاراته، واستمرت ولايته بين عامي (676-678هـ/ 1277 - 1279م)، وقد خُلع من الحكم أو خلع نفسه من السلطنة (السيوطي، 1967م، ص.95)، لما غضب عليه الأمراء وأرادوا قتله، ومات بعد مدة يسيرة. (ابن اياس، 1983م، ص.346)

ثم أعطى الأمراء الولاية لابن الظاهر بيبرس الثاني العادل سلامش لفترة قصيرة لم تتجاوز ثلاثة أشهر، وكان صغير السن عمره سبع سنين وأشهر قليلة، لذلك اتفق أن يكون الأمير قلاوون مدبر المملكة (ابن اياس، 1983م، ص.346)، وتولى قلاوون كل أمور المملكة في عهد سلامش، ثم خُلع سلامش من الحكم وتولى قلاوون السلطنة بعدما استقرت له الأمور، وخلال الفترة القصيرة التي حكمها هذا السلطان، تم إصدار عملات باسمه، منها ما يلي:

الوجه: المؤمنين السلطان/ الملك العادل بدر/ الدنيا والدين/ سلامش بن/ الملك الظاهر/ قسيم أمير.

الظهر: ضرب بدمشق سنة/ ثمان وسبعين/ وستماية لا إله الا/ الله محمد رسول/ الله أرسله بالهدى. (مهدي، 2008م، ص.267)

وهكذا يتأكد لنا أن ما كان يقوم به الأمراء من تولية أحد أبناء السلطان المتوفي، ما هو إلا جزء من سياسة اتبعوها حتى يتمكن أقواهم وأقدرهم على الوصول إلى السلطنة بعدما يتخلص من منافسيه بالقتل أو السجن أو انتزاع الموالاة والولاء له.

أما عن أولاد المنصور قلاوون وبالأخص الناصر محمد الذي أخذ البيعة لولده أبي بكر المنصور قبل أن يموت، فقد وصل أيضا ثمانية من أولاده إلى السلطنة المملوكية، وكذلك تولى أحفاده عرش مصر على التوالي، وفق المبدأ الوراثي، على أنّ المماليك رغم ذلك لم يقيموا لقانون الوارثة أي وزن كما كانت عند غيرهم من الأمم (حسن، 1967م، ص.196)، حيث كان أمراء المماليك الشراكسة أشد حرصاً من أسلافهم على إبعاد مبدأ وارثة العرش عن الحكم المملوكي، وحرصوا على أن تكون السلطنة حقاً مشروعاً للقادر منهم على انتزاعها بالقوة والغلبة. (طرخان، 1960م، ص.11)

ومن ذلك، تولي السلطان الأشرف صلاح الدين خليل بن المنصور قلاوون الحكم (689 – 693هـ/ 1290 – 1293م)، والذي تعرض للعديد من المؤامرات من الأمراء ولكنه نجح في القضاء عليها، بل قام بالقضاء على الصليبيين في بلاد الشام وأكمل طردهم من الشرق. (مهدي، 2008م، ص.96)

ولكنه سرعان ما اغتر بقوته فسخر من الأمراء وتلاعب بهم وأمعن في التنكيل بهم الواحد تلو الآخر، فاتفق عليه الأمراء، وعملوا على الإيقاع به، والتخلص منه، وبالفعل قُتل على يد مماليكه في سنة 693هـ/ 1293م.

وكان الأشرف خليل بن قلاوون قد ضرب النقود التي تدعم سلطنته وتؤيد أحقيته في الحكم منذ توليه سلطنة المماليك، ليعلن للأمراء أنه ما جاء ليكون حكمه مرحلة مؤقتة كما يتمنون ويتوقعون، بل ليحكم ويتسلطن طيلة حياته، ومن هذه النقود ما يلي:

دينار ضرب مدينة الإسكندرية يعود لسنة 690هـ، وجات كتاباته كالتالي:

الوجه: بسم الله لا إله الا/ الله محمد رسول/ الله أرسله بالهدى/ ودين الحق قلاون/ السلطان الملك/ الأشرف صلاح/ الدين ناصر الملة/ المحمدية محيي/ الدولة العباسية/ خليل بن.

الظهر: ضرب هذا الدينار/ بالإسكندرية سنة/ تسعين وستماية/ الدين كله لا اله/ إلا الله محمد/ رسول الله أرسله/ بالهدى ودين/ الحق ليظهره على. (مهدي، 2008م، ص.273)

وكما هو ملاحظ فقد حرص الأشرف خليل على ذكر أبيه قلاوون في كتابات نقوده كدعم له أمام أمراء أبيه الطامعين في الحكم، وليذكرهم دوما بأفضال أبيه عليهم ليستحي الأمراء من الانقلاب على ابن أستاذهم، ولكن ذلك لم يفلح، بسبب تصرفاته تجاههم، والتنكيل بهم كلما حانت له الفرصة لذلك.

وهذا دينار من الذهب يؤرخ لذلك (لوحة رقم: 1)، جاءت كتاباته كما يلي:

الوجه: المركز: الدين كله/ لا إله إلا الله محمد/ رسول الله أرسله بالهدى/ ودين الحق ليظهره على.

الهامش: ضرب هذا الدينار المبارك بالقاهرة المحروسة سنة تسعين وستماية.

الظهر: المركز: قلاون/ السلطان الملك الأشرف/ صلاح الدين ناصر الملة المحمدية/ محي الدولة العباسية خليل بن.

الهامش: لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق. (مهدي، 2008م، ص.273)

ويتضح من تحليل كتابات هذا الدينار إطلاق لقب " ناصر الملة المحمدية " على الأشرف خليل، وهو لقب يعطي صاحبه صفة دينية وحربية من منطلق جهوده في الدفاع عن الاسلام والرسالة المحمدية، وهو ما ينطبق على تاريخ الملك الأشرف خليل الذي انتصر للإسلام وجاهد في سبيله، وجاء استخدامه لهذا اللقب عقب أن تم فتح مدينة عكا على يديه وتخليصها من الصليبيين في عام 690هـ/1291م. كما أطلق عليه لقب " محي الدولة العباسية " لأول

مرة، وهو من الأشياء التي تدعو للتساؤل عن سبب اتخاذ الاشرف خليل لهذا اللقب، على الرغم من أنه ليس هو الذي أحيا الخلافة العباسية، ولعل استخدامه هذا اللقب يرجع إلى أن الأشرف خليل أعاد للخلافة العباسية هيبتها، وسمح للخليفة العباسي بالخطبة في جامع القلعة، كما اصطحبه في أغلب المقابلات الرسمية، ودلالة على دور السلطان الأشرف خليل في إعادة مدينة عكا الصليبية إلى حوزة الخلافة العباسية بعد سنوات من سقوطها. (الشوبكي؛ طنطاوي، 2011م، ص ص.201-202)

ولكن كل ذلك لم يفلح في شيء، فحينما نكل خليل بالأمراء، قاموا عليه ولم يتراجعوا حتى قُتل.

وبعد مقتل خليل لم يجد الأمراء سوى الناصر محمد بن قلاوون لتعيينه سلطانا جديدا، وكان ابن سبع سنوات، وقد بُويع وتسلطن ثلاث مرات، في كل مرة ينتزع منه أحد أمراء أبيه السلطنة ثم يعود إليها بعد مقتل هذا الأمير على يد غيره من الأمراء، وكانت تلك الحلقة من التاريخ المملوكي دليل كبير وقطعي على أن المماليك لا يؤمنوا بوراثة العرش، وإنما كانت فكرة وراثة العرش مرحلة مؤقتة حتى يتمكن أحدهم من انتزاع الحكم لنفسه من دون منازعة من باقي الأمراء.

ومن النقود التي تدل على تولي السلطان الناصر محمد الحكم ما يلي:

لم يصل من فترة حكم الناصر محمد الأولى أية نقود، أما من فترة حكمه الثانية فهذا دينار ضرب بالقاهرة يخلو من تاريخ الضرب، محفوظ بمتحف ديفيد في كوبنهاجن (لوحة رقم: 2)، جاءت النصوص الكتابية عليه كما يلي:

الوجه: المركز: ضرب بالقاهرة لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق.

الهامش: ضرب هذا الدينر المبارك بالقاهرة سنة (... وتسعين وستماية).

الظهر: المركز: قلاون/ السلطان الملك/ الناصر ناصر الدنيا والدين/ محمد بن الملك/ المنصور.

الهامش: لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدين كله. (الشوبكي؛ طنطاوي، 2011م، ص ص.205-206)

وهذا دينار يعود لفترة حكمه الثانية ضرب مدينة القاهرة سنة 707 هـ، وجاءت نصوص كتاباته كما يلي:

الوجه: لا إله إلا الله/ محمد.. قلاون/ السلطان الملك/ ناصر ناصر الدنيا/ والدين محمد ابن/ الملك المنصور.

الظهر: ضرب هذا الدينار/ المبارك بالقاهرة/ المحروسة سنة/ سبع وسبعماية. (مهدي، 2008م، ص.279)

ومن الدنانير التي تعود للمرحلة الثالثة أيضا من فترات حكم الناصر محمد ما يلي:

الوجه: الله/ وما النصر إلا من عند/ لا إله إلا الله محمد/ رسول الله أرسله/ بالهدى ودين/ الحق.

الظهر: بالقاهرة/ السلطان الملك النا/ صر الدنيا والدين محمد/ بن الملك المنصور قلاوون/ أربع وعشرين وسبعماية. (النبراوي، 2000م، ص.138)

ووصل من نقود الناصر محمد بن قلاوون، العديد من الطرز النقدية الذهبية، منها طراز تميز بإضافة الاقتباس القرآني الكريم من سورتي: آل عمران (الآية 126)، والأنفال (الآية 10): ﴿ومَا النَّصْرُ إلا مِن عِندِ اللهِ﴾، إلى الطراز القديم المعتمد للدنانير المملوكية، والتي تتكون من كتابة مركزية وهامش.

ومن أمثلة ذلك، دينار ذهبي ضرب القاهرة سنة 711هـ (لوحة رقم: 3)، جاءت النصوص الكتابية عليه كما يلي:

الوجه: المركز: الله/ وما النصر إلا من عند/ لا إله إلا الله محمد/ رسول الله أرسله/ بالهدى ودين/ الحق.

الهامش: (بسم الله ضرب هذا الدينر) بالقاهرة سنة احد عشرة وسب (عمائة).

الظهر: المركز: الله/ وما النصر إلا من عند/ السلطان الملك الناصر/ ناصر الدنيا والدين محمد/ بن الملك المنصور/ قلاون.

الهامش: لا إله إلا الله محمد (رسول الله أرسله بالهدى.... على الدين كله). (الشوبكي؛ طنطاوي، 2011م، ص ص.206-207)

ومنها طرازاً جديداً تميز بخلوه من الكتابة الهامشية (لوحة رقم 4)، واشتماله على الاقتباس القرآني من سورتي آل عمران الآية 126، والأنفال الآية 10: ﴿ومَا النَّصْرُ إلا مِنْ عِندِ اللَّه الله﴾، وجاءت النصوص الكتابية لهذا الطراز كما يلي:

الوجه: الله/ وما النصر إلا من عند/ لا إله إلا الله محمد/ رسول الله ارسله/ بالهدى ودين الحق.

الظهر: ضرب بدمشق/ السلطان الملك الناصر/ ناصر الدنيا والدين محمد/ بن الملك المنصور سنة/ إحدى وأربعين وسبعماية. (الشوبكي؛ طنطاوي، 2011م، ص ص.206-207)

ولعل السبب في إقدام الناصر محمد على تسجيل تلك الآية الظروف التي تعرض لها من تكالب الأمراء عليه ومحاولاتهم المستمرة لانتزاع السلطنة من بين يديه وأفعالهم المشينة معه، ثم نجاحه في الانتصار على منافسيه من أمراء المماليك، بعد أن نجحوا في عزله مرتين عن سلطنة مصر، وعندما عاد إليها للمرة الثالثة رأى أن الفضل في ذلك يرجع إلى الله تعالى، فحرص أن يثبت ذلك على نقوده لتكون دعاية له ضد من تسول له نفسه أن ينافسه على الحكم بأن الله سبحانه وتعالى سينصره عليه.

وتمكن الناصر محمد فكان أطول الملوك زمانا وأعظمهم مهابة وأغزرهم عقلا وأقواهم بطشا وشجاعة (ابن تغري بردي، 1963م، ص.166)، وهذا كله لم يتحقق له إلا بعد البلوغ والدراية بعد أن حكم فترتين سابقتين كانت أحلامه كلها معلقة بيد الأمراء ونواب السلطنة فيهما.

وهكذا يتضح من خلال تلك النقود وكتاباتها ما تعرض له السلطان محمد بن قلاوون من مؤامرات في خلال فترات حكمه الثلاث، ولكن نهاية الأمر تسلطن الناصر محمد وحكم بالقوة وأنجز العديد من المنجزات الحضارية وتطورت البلاد في عهده واستقرت له الأمور ولأبنائه من بعده فترة من الزمن.

أولاد الناصر محمد بن قلاوون وأحفاده على حكم المماليك:

لقد تولى حكم مصر والشام من أبناء الناصر محمد بن قلاوون ثمانية، وأربعة من أحفاده، أما الأولاد فهم: أبوبكر وأحمد وكجك وشعبان وإسماعيل وحاجي وحسن وصالح، حكموا قرابة إحدى وعشرين سنة (741-762هـ/ 1341-1361م) وبذلك يكون متوسط حكم الواحد منهم عامين ونصف العام مما يدل على عدم الاستقرار الذي شهدته الدولة المملوكية حينذاك، أما عن الأحفاد فهم: المنصور محمد والأشرف شعبان الثاني والمنصور على والصالح حاجي، وحكم الأحفاد نفس المدة تقريبا (762-784هـ/ 1363-1382م) بمتوسط حكم خمس سنوات لكل منهم. (مهدي، 2008م، ص.115)

وبذلك يكون متوسط حكم الواحد من أبناء وأحفاد الناصر محمد ثلاث سنوات ونصف سنة، وهي فترة قصيرة يحكمها اثنى عشر سلطانا، وبذلك يكون أبناء وأحفاد السلطان الناصر محمد بن قلاوون قد ورثوا حكم مصر، وحكموا مصر والشام قرابة الأربعة عقود.

ولعل تعاقب أبناء وأحفاد الناصر محمد بن قلاوون على حكم مصر وراثيا دليلا قويا على عدم قدرة أي من الأمراء على حسم الصراع بينه وبين الأمراء الآخرين، لينتزع السلطة لنفسه، فقد كانوا جميعا سواء، بنفس القوة والجند، أو ربما كانوا جميعا أوفياء لسيدهم وأبناء وأحفاد سيدهم الناصر محمد، ولم يسبق لبيت أن استمر في الحكم لمدة طويلة إلا بيت قلاوون الذي حطم تلك القاعدة، وهذا ليس دليلا على ايمان المماليك بمبدأ وراثة العرش أبدا، وانما كان لعدم قدرة أيا منهم على انتزاع السلطة والانفراد بها من دون غيره.

وهذه بعض النقود التي ترجع لهؤلاء السلاطين، والتي تشهد على سني حكمهم وتوارثهم للعرش المملوكي.

- دينار باسم المنصور سيف الدين أبوبكر يعود لسنة 742هـ ضرب مدينة القاهرة، وجاءت النصوص الكتابية عليه على النحو التالي:

الوجه: الله/ وما النصر إلا من عند/ لا إله إلا الله محمد/ رسول الله ارسله/ بالهدى ودين الحق.

الظهر: ضرب بالقاهرة/ السلطان الملك/ المنصور سيف الدنيا والدين ابو بكر بن/ الملك الناصر محمد سنة اثنين/ وأربعين وسبعماية. (النبراوي، 2011م، ص.138)

- دينار باسم الأشرف علاء الدين كجك، ضرب بالقاهرة، وجاءت النصوص الكتابية عليه كما يلي:

الوجه: السلطان الملك الأشرف علاء الدنيا والدين.

الظهر: لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق. (مهدي، 2008م، ص.294)

- دينار باسم الناصر شهاب الدين أحمد، ضرب القاهرة سنة 742هـ، وجاءت كتاباته كما يلي :

الوجه: الله/ وما النصر إلا من عند/ لا إله إلا الله محمد/ رسول الله ارسله بالهدى/ ودين الحق ليظهره علي/ الدين.

الظهر: ضرب بالقاهرة سنة اثنين/ السلطان الملك الناصر/ شهاب الدنيا والدين احمد/ بن الملك الناصر محمد/ وأربعين وسبعماية. (الشوبكي؛ طنطاوي، 2011م، ص.209)

دينار باسم الصالح عماد الدين اسماعيل، ضرب القاهرة سنة 743هـ (لوحة رقم: 5)، وجاءت النصوص الكتابية عليه كما يلي :

الوجه: الله/ وما النصر إلا من عند/ لا إله إلا الله محمد/ رسول الله ارسله بالهدى/ ودين الحق ليظهره على/ الدين .

الظهر: ضرب بالقاهرة سنة/ السلطان الملك الصالح/ عماد الدنيا والدين اسماعيل/ بن الملك الناصر محمد ثلاث/ وأربعين وسبعماية. (النبراوي، 2000م، ص.139)

- دينار باسم الكامل سيف الدين شعبان، ضرب دمشق سنة 747 هـ (لوحة رقم: 6)، وجاءت النصوص الكتابية عليه كما يلي :

الوجه: الله/ وما النصر إلا من عند/ لا إله إلا الله محمد/ رسول الله ارسله/ بالهدى ودين/ الحق.

الظهر: ضرب بدمشق/ السلطان الملك الكامل/ سيف الدنيا والدين شعبان/ بن الملك الناصر محمد سنة/ سبع وأربعين وسبعماية. (الشوبكي؛ طنطاوي، 2011م، ص.210)

- دينار باسم المظفر سيف الدين حاجي، ضرب القاهرة سنة 747 هـ (لوحة رقم 7)، وجاءت النصوص الكتابية عليه كما يلي :

الوجه: المركز: الله/ وما النصر إلا من عند/ لا إله إلا الله محمد/ رسول الله ارسله/ بالهدى.

الهامش:... بالقاهرة سنة سبع وأربعين (وسبعمائة).

الظهر: المركز: السلطان/ الملك المظفر سيف/ الدنيا والدين حاجي/ بن الملك الناصر محمد.

الهامش: لا إله إلا الله محمد رسول الله. (الشوبكي؛ طنطاوي، 2011م، ص.211)

- دينار باسم الناصر ناصر الدين حسن، ضرب القاهرة سنة 751 هـ (لوحة رقم 8)، وجاءت النصوص الكتابية عليه كما يلي :

الوجه: الله/ وما النصر إلا من عند/ لا إله إلا الله محمد/ رسول الله ارسله بالهدى/ ودين الحق ليظهره على/ الدين كله.

الظهر: ضرب بالقاهرة/ السلطان الملك الناصر/ ناصر الدنيا والدين حسن بن/ الملك الناصر محمد سنة احد/ وخمسين وسبعمائة. (الشوبكي؛ طنطاوي، 2011م، ص.212 - النبراوي، 2000م، ص.141)

- دينار باسم الصالح صلاح الدين صالح، ضرب القاهرة سنة 752 هـ، وجاءت النصوص الكتابية عليه كما يلي :

الوجه: الله/ وما النصر إلا من عند/ لا إله إلا الله محمد/ رسول الله ارسله بالهدى/ ودين الحق ليظهره على/ الدين كله.

الظهر: ضرب بالقاهرة/ السلطان الملك الصالح/ صلاح الدنيا والدين صالح/ بن الملك الناصر محمد سنة اثنى/ وخمسين وسبعمائة. (النبراوي، 2000م، ص.141 - مهدي، 2008م، ص.308)

- دينار باسم المنصور صلاح الدين محمد، ضرب الاسكندرية سنة 764هـ، وجاءت النصوص الكتابية عليه كما يلي :
- الوجه: الله/ وما النصر إلا من عند/ لا إله إلا الله محمد/ رسول الله ارسله بالهدى/ ودين الحق ليظهره على/ الدين كله.
- الظهر: ضرب بالاسكندرية سنة أربع/ السلطان الملك المنصور/ صلاح الدنيا والدين محمد بن الملك/ المظفر حاجي بن الملك الناصر/ وستين وسبعمائة. (مهدي، 2008م، ص.318 - الشوبكي؛ طنطاوي، 2011م، ص.214)
- دينار باسم الأشرف ناصر الدين شعبان الثاني، ضرب القاهرة سنة 766 هـ (لوحة رقم 9)، وجاءت النصوص الكتابية عليه كما يلي :

الوجه: الله/ وما النصر إلا من عند/ لا إله إلا الله محمد/ رسول الله ارسله بالهدى/ ودين الحق ليظهره على/ (الدين كله).

الظهر: ضرب بالقاهرة (سنة ست)/ السلطان الملك الأشرف/ ناصر الدنيا والدين شعبان بن حسين/ بن الملك الناصر محمد بن قلاون/ وستين وسبعماية. (مهدي، 2008م، ص.321 - الشوبكي؛ طنطاوي، 2011م، ص ص.214-215)

ويلاحظ على كتابات هذا الدينار أن اسم والد السلطان "حسين" يخلو من الألقاب والكنى؛ لكونه لم يعتلي عرش السلطنة.

- دينار باسم السلطان علاء الدين على بن الأشرف، ضرب القاهرة سنة781هـ (لوحة رقم: 10)، وجاءت النصوص الكتابية عليه كما يلي :

الوجه: الله/ وما النصر إلا من عند/ لا إله إلا الله محمد/ رسول الله ارسله بالهدى/ ودين الحق ليظهره على/ الدين كله.

الظهر: ضرب بالقاهرة سنة احد/ السلطان الملك المنصور/ علاء الدنيا والدين على بن/ الملك الاشرف شعبان بن حسين بن محمد/ (..و ثمانين وسبعماية). (مهدي، 2008م، ص.331 - الشوبكي؛ طنطاوي، 2011م، ص.215)

دينار باسم السلطان صلاح الدين حاجي بن الأشرف، ضرب القاهرة سنة 783 هـ (لوحة رقم: 11)، وجاءت النصوص الكتابية عليه كما يلي :

الوجه: (الله)/ وما النصر إلا من عند/ لا إله إلا الله محمد/ رسول الله ارسله بالهدى/ ودين الحق ليظهره على/ الدين كله.

الظهر: ضرب بالقاهرة سنة (ثلاث)/ السلطان الملك المنصور/ صلاح الدنيا والدين حاجي بن/ الملك الاشرف شعبان بن حسين/ وثمنين وسبعماية. (الشوبكي؛ طنطاوي، 2011م، ص.216)

وهكذا يتضح لنا أنه في العصر المملوكي الجركسي لم ينته نظام التوارث بالكلية وانما مُورست نفس السياسة من قبل الأمراء المماليك، فعلى سبيل المثال: حينما وصل السلطان برقوق إلى قرب الأجل، لم يرد أن تنتزع السلطنة من أولاده من بعده، فجمع الخليفة وكبار الأمراء والقضاة، وحلفوا بالسلطنة لأولاده من بعده: (فرج وعبد العزيز وإبراهيم) لكن الأخير لم يسلطن. (مهدي، 2008م، ص.158)

فسلطن الناصر فرج مرتين بعد أبيه وكان عصره كله صراعات بين الأمراء ومشاكل خارجية من قبل تيمورلنك، وكان عمره حين تولى الحكم نحو عشر سنين وقبل ثلاثة عشر سنة (المقريزي، 1997م، ص.99)، خلع المرة الأولى من الحكم سبع عشرة سنة، وأعلن أخيه عبدالعزيز سلطانا وكان لم يتجاوز العاشرة من عمره، ولم يستمر في الحكم سوى سبعين يوما، ثم أعيد فرج للحكم مرة ثانية، وكان عصره مليئ بالصراعات والنزاعات الداخلية والخارجية وكان معظم الثائرين من الجراكسة فعمل على ابعادهم وتشريدهم وتقريب أخواله من الروم (طرخان، 1960م، ص.26)، وانقضى الأمر بمقتله، وبذلك انقضت دولة أبناء برقوق بعد حكم دام حوالي ثلاثين سنة (784-815هـ/ 1382-1312م) . (مهدي، 2008م، ص.158)

ومن النقود التي تشهد على سلطنة أبناء برقوق، ما يلي:

- دينار ذهبي يعود للناصر فرج بن برقوق في خلال فترة حكمه الأولى الممتدة ما بين (801-808 هـ/ 1399-1405م)، ضرب بالقاهرة سنة 804 هـ (لوحة رقم: 12)، وجاءت كتاباته كما يلي:

  الوجه:... رسول الله أرسله.../ بالقاهرة سنة أربع/ ثمانمائة.

  الظهر:.. فرج../ السلطان الملك الناصر/ ... برقوق.... (الجابر، 1992م، ص ص.361-362)

- دينار ذهبي يعود للناصر فرج بن برقوق في خلال فترة حكمه الأولى، ضرب بالقاهرة سنة 805 هـ (لوحة رقم: 13)، وجاءت كتاباته كما يلي:

الوجه: وما النصر إلا من عند الله/ لا إله إلا الله محمد/ رسول الله ارسله/ بالهدى ودين الحق ليظهره/ على الدين كله.

الظهر: المركز: دائرة تضم بداخلها اسم فرج.

الهامش: السلطان الملك الناصر بن الملك الظاهر برقوق ضرب بالقاهرة سنة خمس وثمانماية. (الشوبكي؛ طنطاوي، 2011م، ص.254)

- وهذا دينار آخر يعود لفترة حكم الناصر فرج الثانية الممتدة ما بين (809-815هـ/ 1406-1412م)، ضرب بمدينة القاهرة عام 809هـ، وجاءت كتاباته كما يلي:

الوجه: ضرب بالقاهرة/ سنة تسع السلطان/ الملك الناصر/ ناصر الدنيا/ والدين فرج بن/ الشهيد برقوق/ خلد الله ملكه/ وثمان ماية.

الظهر: الله وما النصر الا/ من عند لا إله الا/ الله محمد رسول/ الله أرسله بالهدى/ ودين الحق ليظهره/ على الدين كله. (مهدي، 2008م، ص.351)

- وهذا دينار يعود لفترة حكم الناصر فرج الثانية، ضرب بالقاهرة عام 810هـ (لوحة رقم: 14)، وجاءت كتاباته كما يلي:

  الوجه: لا إله إلا الله/ محمد رسول الله ارسله/ بالهدى ضرب بالقاهرة/ سنة عشر وثمانمائة.

  الظهر: فرج/ السلطان الملك الناصر/ بن برقوق. (الشوبكي؛ طنطاوي، 2011م، ص.255)

- وهذا دينار آخر يعود لفترة حكم المنصور عز الدين عبد العزيز (808-809هـ/ 1405-1406م)، ضرب بحلب عام 809هـ، وجاءت كتاباته كما يلي:

الوجه: ضرب بحلب/ الملك العادل عبد/ الله حكم خلد/ الله... تسع/ وثمانمائة.

الظهر: في رمضان لا اله/ إلا الله محمد/ رسول الله ارسله/ بالهدى ودين. (مهدي، 2008م، ص.350)

وقد تولى أيضا الحكم المظفر شهاب الدين أحمد بعد وفاة أبيه المؤيد شيخ وكان عمره أقل من سنتين (المقريزي، 1997م، ص.104)، أي أنه كان طفلا رضيعا، حتى أنه لما أركبوه فرس النوبة في مراسم السلطنة كان يزعق من البكاء، وأغمي عليه لما دقت الكوسات على غفلة واستمر يضطرب إلى أن مات فيما بعد. (المقريزي، 1997م، ص ص.63-64)

- وهذا دينار يعود لفترة حكم المظفر شهاب الدين أحمد بن المؤيد شيخ ويشهد على توليه السلطنة، ضرب بالقاهرة عام 824هـ، وجاءت كتاباته كما يلي:

الوجه: الله/ وما النصر إلا من عند/ لا إله إلا الله محمد رسول/ الله ارسله بالهدى ودين الحق/ ليظهره على الدين كله و لو/ كره المشركون.

الظهر: ضرب بالقاهرة سنة أربع/ السلطان الملك المظفر ابو السعادات/ احمد بن السلطان الشهيد المؤيد سلطان/ الاسلام والمسلمين خلد الله/ ملكه ونصره/ (وعشرين وثمانمائة). (الشوبكي؛ طنطاوي، 2011م، ص ص.258-259 - مهدي، 2008م، ص.359)

- وكذلك تولى الصالح ناصر الدين محمد بن الظاهر سيف الدين ططر السلطنة بعد وفاة أبيه، وكان عمره احدى عشرة سنة (ابن اياس، 1983م، ص.76)، وخلع من الحكم بعد ثلاثة شهور، وعطف عليه برسباي فلم يسجنه لصغر سنه، بل أدخله دور الحريم، وبقي بها إلى أن مات بالطاعون في سنة 833 هـ/ 1429 م. (مهدي، 2008م، ص.190)

وهكذا فقد أجلس على العرش في سنة 824 هـ أربعة من السلاطين حتى ردد العوام بسخرية:

أربع سلاطين في سنة وايش دا العينة (ابن اياس، 1983م، ص.77)

- وهذا دينار يعود لفترة حكم الصالح ناصر الدين محمد بن الظاهر سيف الدين ططر ويشهد على توليه السلطنة، ضرب بالقاهرة عام 824هـ، وجاءت كتاباته كما يلي:

الوجه: الملك الصالح/ محمد خلد الله.

الظهر: لا إله إلا الله/ محمد رسول الله/ ضرب بحلب. (مهدي، 2008م، ص.361)

وبعد وفاة الأشرف سيف الدين برسباي، أقيم ابنه العزيز جمال الدين أبو المحاسن يوسف سلطانا خلفا لأبيه، وعلى نفس الطريقة المتبعة في دولة المماليك، حتى يتمكن أقوى الأمراء من انتزاع السلطة، وكان عمره آنذاك أربعة عشرة سنة وسبعة أشهر (المقريزي، 1997م، ص.1053)، ولم يستمر في الحكم سوى ثلاثة أشهر فقط (المقريزي، 1997م، ص.104)، وخلعه جقمق ووضعه في دور الحريم. (ابن اياس، 1983م، ص.198) وهذا دينار يعود لفترة حكم العزيز جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن برسباي ويشهد على توليه السلطنة، ضرب بالقاهرة عام 842هـ (لوحة رقم: 15)، وجاءت كتاباته كما يلي:

الوجه: أرسله/ لا إله إلا الله/ محمد رسول الله/ بالهدى.

الظهر: بالقاهرة/ السلطان الملك العزيز/ ابو المحاسن يوسف بن برسباي/ اثنين وأربعين وثمانمائة. (الشوبكي؛ طنطاوي، 2001م، ص.262 - مهدي، 2008م، ص.365)

وهكذا تولى ابن الظاهر جقمق حكم دولة المماليك بعد وفاة أبيه، حين قلد الأمراء المنصور فخر الدين أبو السعادات عثمان بن الظاهر جقمق، وعمره نحو تسعة عشر سنة (ابن اياس، 1983م، ص.301)، وعامل الأمراء

بقسوة، فاتحدوا ضده، وحاصروه في القلعة، حتى خلعوه، وحكم ثلاثة وأربعين يوما، وتوفاه الله في حكم الأشرف قايتباي. (ابن اياس، 1983م، ص ص.304-306)

وكان السبب الرئيسي وراء خلع هذا السلطان هي "المناصرة"، وهي نقود ناقصة القيمة ضربها السلطان. (طرخان، 1960م، ص.35)

- وهذا دينار يعود لفترة حكم المنصور فخر الدين أبو السعادات عثمان بن جقمق ويشهد على توليه السلطنة، ضرب بالقاهرة عام 857هـ، وجاءت كتاباته كما يلي:

الوجه: لا إله إلا الله/ محمد رسول الله..... /

الظهر: ابو السعادات عثمان/ السلطان الملك المنصور/ ضرب بالقاهرة/ (سبع وخمسين وثمانمائة). (الشوبكي؛ طنطاوي، 2011م، ص.263)

وكذلك عين المؤيد أبو الفتح احمد سلطانا للمماليك، وكان ذلك في حياة والده الملك الأشرف إينال، وكانت سلطنته يوم الأربعاء الرابع عشر من جمادى الأولى سنة 865 هـ/ 1461 م، وكان حينها ابن الثلاثين عاما. (ابن تغري بردي، 1963م، ص.218)

ولم يدم حكمه سوى أربعة أشهر، لأنه عادى الأمراء، وكان يفضل طائفة منهم على غيرها، وكان ذلك عين الخطأ. (ابن اياس، 1983م، ص ص.371–377)

وذات مرة دعا الأمراء لاجتماع، ولما لم يبدي لهم سبب الاجتماع، شكوا في أمره، واتفقوا على خلعه من الحكم، وفي رمضان وثبوا عليه وحاربوه حتى كف عن القتال وزال ملكه. (ابن تغري بردي، 1963م، ص.247)

- وهذا دينار يعود لفترة حكم المؤيد أبو الفتح احمد بن الأشرف إينال، ويشهد على توليه السلطنة، ضرب بالقاهرة عام 865هـ، وجاءت كتاباته كما يلي:

الوجه: أبو الفتح أحمد/ السلطان الملك/ المؤيد بن اينال/ عز نصره.....

الظهر: بالقاهرة لا إله الا/ الله محمد رسول/ الله 865. (مهدي، 2008م، ص.372)

وكذلك تولى سلطنة المماليك الناصر أبو السعادات محمد بن الأشرف قايتباي، بعد وفاة أبيه، وفي عهده ظهر الضعف والفوضى في دولة المماليك. (طرخان، 1960م، ص.40)

وتولى وهو ابن أربع عشرة سنة، وكان قاسيا، منغمسا في الملذات، حتى صار المغنيون والمغنيات سمار لهوه، وكان يقضي معهم الليالي في النيل، كما كان يهاجم هو وخلانه المارة من الرجال، ويقتحمون البيوت في الظلام، حتى النساء الفاضلات لم ينجين من سوء تصرفه اللاأخلاقي هذا.

(Muir, 1986, p.183)

ولما زاد بطشه وظلمه، خرج عليه قانصوة خمسمئة (خمسمئة: من طبقة الأمراء الأولى، وتعني عدته خمسمئة فارس، ينظر: القلقشندي، 1922م، ص.14)، وانتهى الأمر بخلعه وتولى هو مكانه، ولم يستمر قانصوة خمسمئة في الحكم سوى ثلاثة أيام، ثم عاد محمد بن قايتباي للحكم مرة أخرى. (طرخان، 1960م، ص.40)

ثم عاد للحكم فترة ثانية بعد قانصوة خمسمئة، ووقع فريسة لاستبداد المماليك، وكان خاضعا للجلبان، وظل معربدا كما كان حتى قتل، بعد الاتفاق بين المماليك وخاله قانصوة. (ابن اياس، 1983م، ص ص.401-402)

- وهذا دينار يعود لفترة حكم الناصر أبو السعادات محمد بن الأشرف قايتباي، ويشهد على توليه السلطنة، ضرب بالقاهرة عام 902هـ، وجاءت كتاباته كما يلي:

الوجه: السلطان الملك/ الناصر عز محمد/ نصره أبو السعادات.

الظهر: بالقاهرة عام اثنين/ وتسعماية. (مهدي، 2008م، ص.378)

وهكذا يتبين للباحث وبما لا يدع مجالا للشك، ومن خلال تلك الشواهد، أن المماليك لم يعتقدوا أبدا في مبدأ وراثة العرش، وانما كان هذا تكتيكا خاصا لدى كبار الأمراء، حتى يستطيع أحدهم الانتصار والنيل من كرسي السلطنة منة دون غيره من المراء المتنافسون معه.

فكان هذا التكتيك يقتضي تعيين ابن السلطان المتوفي حين يحين الوقت وتحين الفرصة للأمير الأقوى من اقتناص العرش وخلع السلطان الصغير، واستمر هذا الأمر طيلة فترة المماليك بشقية البحري والجركسي.

طرق اعتلاء عرش السلطنة المملوكية:

1. كان مبدأ وراثة العرش غير معترف به وغير مقبول طوال حكم الدولة المملوكية: لأنّ المماليك اعتقدوا أنّ المُلك والسلطنة تجب أن تؤول إلى أقواهم وأكثرهم نفوذا، وأكثرهم شجاعة في الحروب، وأكثرهم منعة، وأذكاهم وأدهاهم، وكان استقرار السلطان على العرش يتوقف على كثرة أتباعه وضخامة ثروته ومدى رضا الأمراء عنه، واتخذ المماليك من صغر سن السلاطين فرصة سانحة لتحقيق مطامعهم ومآربهم في الوصول إلى العرش غير مكترثين لمبدأ الوارثة.
2. إنّ أمراء مصر في العصر المملوكي كان لهم أكبر الأثر في توطيد وتدعيم عروش السلاطين أو تقويتها، لما كان لهم من شدة البأس وقوة الشكيمة والقدرة على إثارة الدسائس لمن لا يردعهم أو يوقرهم ويرعى حرمتهم من سلاطين مصر، فإن مقتل قطز وعزل بركة خان وسلامش ابني الظاهر بيبرس تم على يد أمراء مصر المماليك. (حسن، 1954م، ص.323)

وقد نتج عن عدم وجود نظام ثابت لتولي منصب عرش السلطنة في عصر سلاطين المماليك، وطمع كل أمير منهم وتطلعهم جميعا إلى ذلك المنصب بوصفه حقاً مشروعاً لهم جميعا، إلى كثرة الاضطرابات في جسم هذه الدولة طوال تاريخها والانفلاتات الأمنية، بل إن نسبة كبيرة من سلاطين المماليك انتهى أمرهم بالقتل أو الخلع أو السجن على أيدي منافسيهم من الأمراء المتطلعين إلى تولي منصب السلطنة. (عاشور، 1994م، ص.18)

وهكذا ومن الملاحظ أن المماليك، لم يكن لديهم مبدأ ثابت في الحكم، رغم أنهم ورثوا سيادتهم وحكمهم ونظامهم من أسيادهم الأيوبيين، إلا أن المبدأ الذي ظل سائداً في الحكم لديهم، هو مبدأ " الحكم لمن غلب "، فقاتل السلطان يصير سلطانا ويلقب بألقاب السلطنة.

ولقد كون المماليك سلطة حاكمة، حيث قاموا بالسياسة والعسكرية في آن واحد، ونظروا للشعب المصري على أنه فئة لا تستطيع الحكم وتدبير الأمور بأنفسهم، فلم يشاركوهم في الإدارة ولا في الحروب، وكان دور الشعب قليل جدا في الأحداث، اللهم إلا في فترات معينة، حيث كان للشعب دور في عودة الناصر محمد إلى السلطنة في المرة الثالثة مثلا، ومهاجمة السلطان بيبرس الجاشنكير، ومن ثم كان لهذا الدور إرهاصات وانعكاسات في بقاء الحكم الوراثي في أسرة قلاوون لفترة ليست بالقليلة في عقلية المماليك التي لا تؤمن بهذا المبدأ.

فلم يكن لمبدأ الوارثة في الحكم أي دور أو أي قناعة لدى المماليك، ولم يحتل مكاناً بارزاً في فكر سلاطين المماليك، على الرغم من أن الظاهر بيبرس قد ورث الحكم لابنيه السعيد بركة خان وبدر الدين سلامش، وقلاوون ورث الحكم لأبنائه الأشرف خليل والناصر محمد، ومن ثم الناصر محمد الذي كان حالة استثنائية في العصر المملوكي، والذي ورث الحكم من بعده لثمانية من أبنائه وأربعة من أحفاده، إلا أن هذا المبدأ وكما لوحظ كان محطة انتظار وفترات مؤقتة، يظل ذلك حتى ينجلي الموقف عن أمير قوي يحتل الصدارة ويحسم المنافسة ويفوز بمنصب السلطنة، ولعل بقاء الحكم في أسرة قلاوون لفترات طويلة كان نتيجة لمحبة الناس لهذه الأسرة من جهة، ومن جهة ثانية، كان قوة الصراع بين الأمراء ومحاولة فوز كل منهم بكرسي السلطنة، وطول أمد ذلك الصراع بينهم، لتقارب

القوة أو عدم قدرة أيا منهم على حسم الصراع لصالحه، كل هذا هو الذي أجل الإطاحة بهذه الأسرة من حكم المماليك، حتى يأتي أمير قوي يتمكن من الإطاحة بها من سدة الحكم، وهذا ما حدث عندما اعتلى السلطان الظاهر برقوق حكم المماليك، وأزاح أسرة قلاوون، وكذلك طوى صفحة دولة المماليك البحرية.

ومن اللافت للانتباه أيضا، أن معظم من تولى الحكم من أبناء السلاطين وفق مبدأ الوارثة لم يكونوا بالشخصية القوية التي كانت على قدر آبائهم، فالسعيد بركة خان لم يرتق لمستوى اسم السلطان الظاهر بيبرس وكذلك سلامش ولداه، وكذلك الأشرف خليل الذي ورث الحكم عن والده السلطان قلاوون، وعلى الرغم من أن اسمه حفر بماء الذهب لتحريره البلاد من الوجود الصليبي، إلا أنه لم يجاري والده من حيث القوة والسيطرة، وأما الناصر محمد فقد بقي ألعوبة بيد الأمراء فترات طويلة، خلال فترتي حكمه الأوليين، ثم ليعود بعد مرحلة النضج وبمساعدة من بعض الأمراء وخصوصاً أمراء الشام، ليقود مرحلة هامة من تاريخ الدولة المملوكية بفضل قوة شخصيته، وقام بتوريث الحكم لأبنائه وأحفاده، إلا أن ورثته لم يكونوا على قدر المسؤولية، ولم يكونوا بنفس الشخصية التي تمكنهم من مجابهة أطماع الأمراء، أو حتى على قدر الكرسي الذي ارتقى إليه، فصاروا ألعوبة بيد الأمراء، وغالباً ما كانوا سلاطينا اسما فقط، وانتهى حكم أغلبهم إما بالخلع أو السجن أو القتل، كما أن أغلبهم لم يبلغ السن، وكانوا دون سن الرشد، فقضوا أغلب فترات حكمهم باللعب واللهو، كما أن جلهم لم يعمروا في السلطنة فترة طويلة، فكانت تتراوح فترات حكم كل منهم ما بين البضعة أشهر أو السنة بالكثير، ومن حالفه الحظ منهم حكم لخمس سنوات، باستثناء السلطان الأشرف أبو المفاخر شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون، الذي كانت مدته أربع عشرة سنة وشهرين وخمسة عشر يوماً، كما أن السلطان الناصر حسن بن محمد استطاع أن يعتلي سدة الحكم على فترتين.

وهكذا يلاحظ أن أهم ما يميز فترة المماليك من الناحية السياسية هو كثرة الاضطرابات والانقلابات السياسية والعسكرية واغتصاب منصب السلطنة، حتى أصبح أمرا طبيعيا ومألوفا بينهم، ولم يكن الحكم وفق الحق الشرعي الموروث، وانما حسب قوة هذا الأمير أو ذاك، وبحسب قوة وسطوت وسيطرت وكثرة مماليك كل منهم، ومن ثم يمكن القول: إن ما حدث من توارث للحكم ما هو إلا حالة شاذة واستثنائية، لا وجود لها في ذاكرة الحكم لدى السلاطين المماليك على العموم.

4. خلاصة بأهم النتائج:

وختاما فإن دراسة التاريخ من خلال الكتابات والنقوش التاريخية المدونة على العملات المعدنية والآثار الثابتة يعد من أهم ما يجب أن نلتفت إليه، لما لها من مصداقية كبيرة، وتشير نتائج هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

1. أثبتت الدراسة أن المماليك لم يعترفوا أبدا بمبدأ وراثة العرش حتى وإن أجبرتهم الظروف على تبني هذا المبدأ لفترات معينة في تاريخهم.
2. بينت الدراسة أن اعتراف المماليك بمبدأ وراثة العرش لم يكن سوى جزءا من خطتهم للوصول للعرش حينما تتمايز صفوفهم ويعلو أحدهم ويظهر غلبته على غيره من الأمراء المتصارعين معه.
3. أوضحت الدراسة أن بعض من ورثوا حكم المماليك استطاعوا أن يثبتوا كفاءة وتسلطنوا لفترات كبيرة من أمثال خليل بن قلاوون والناصر محمد بن قلاوون.
4. أثبتت الدراسة أيضا أن عقيدة المماليك لم تؤمن يوما بوراثة العرش ولكن على الرغم من ذلك وجدت حالات كثيرة لوراثة العرش في العصر المملوكي.

5. أكدت الدراسة بما حملته من إشارات أن النقود والكتابات المدونة عليها وعلى العمارة الإسلامية لا تقل شأنا عن الكتابات التاريخية الأخرى، بل يجب تقديمها على غيرها لصدقيتها ودقتها، كونها مصدرا من المصادر الأولية لكتابة التاريخ.

التوصيات والمقترحات.

بناءً على النتائج التي تم التوصل إليها يوصي الباحث ويقترح بالآتي:

1. التوسع في دراسة الكتابات والنقوش الإسلامية التاريخية المدونة على التحف الأثرية بمختلف أنواعها وعلى المعمار الإسلامي في العصور التاريخية المختلفة.
2. فتح باب الدراسة المقارنة بين علمي التاريخ والآثار لسد الثغرات وتصحيح الأخطاء التي وردت في كتابات بعض المؤرخين، وذلك من خلال الكتابات المدونة على الآثار.
3. ضرورة توجيه الدارسين والباحثين للدراسة الفلسفية للتاريخ وليست الدراسة النقلية وحسب، للتوصل لأسباب الأحداث والوقوف على النتائج الصادقة لكل حدث، والاستفادة من التاريخ بشكل كبير يخدم عالمان والإسلامي في وقتنا المعاصر وفي مستقبلنا، وألا تكون دراسة التاريخ مجرد رجوعا قهقريا للوراء، بل استنتاجات واستنباطات تعيننا على فهم الواقع واستشراف المستقبل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وأسأل الله تعالى التوفيق والسداد.

الملاحق

الصور:

لوحة رقم 1: دينار مملوكي ضرب بالقاهرة سنة (690هـ/1291م).

لوحة رقم 2: دينار مملوكي بمتحف ديفيد في كوبنهاجن ضرب القاهرة باسم محمد بن قلاوون.

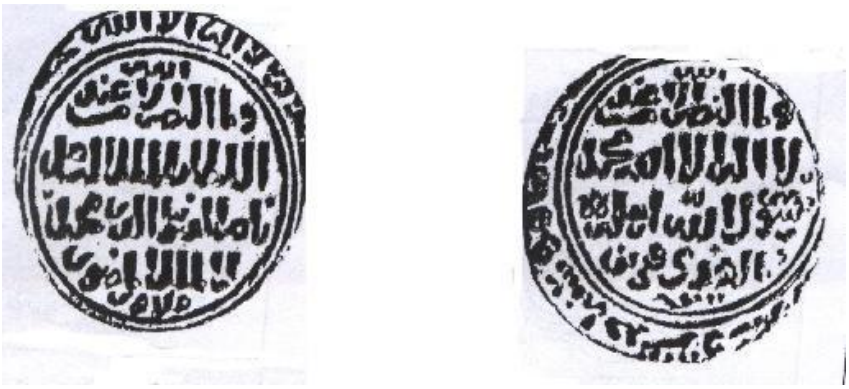

لوحة رقم 3: دينار مملوكي ضرب بالقاهرة سنة (711هـ/1311م).

لوحة رقم 4: دينار مملوكي ضرب بدمشق سنة (741هـ/1340م).

لوحة رقم 5: دينار مملوكي ضرب بالقاهرة سنة (743هـ/1342م).

لوحة رقم 6: دينار مملوكي ضرب بدمشق سنة (747هـ/1346م).

لوحة رقم 7: دينار مملوكي ضرب بالقاهرة سنة (747هـ/1346م).

لوحة رقم 8: دينار مملوكي محفوظ بمتحف ديفيد في كوبنهاجن ضرب بالقاهرة عام (751هـ/1350م)

لوحة رقم 9: دينار مملوكي ضرب بالقاهرة عام (764هـ/1363م).

لوحة رقم 10: دينار مملوكي ضرب بالقاهرة عام (781هـ/1379م).

لوحة رقم 11: دينار مملوكي ضرب بالقاهرة عام (783هـ/1381م).

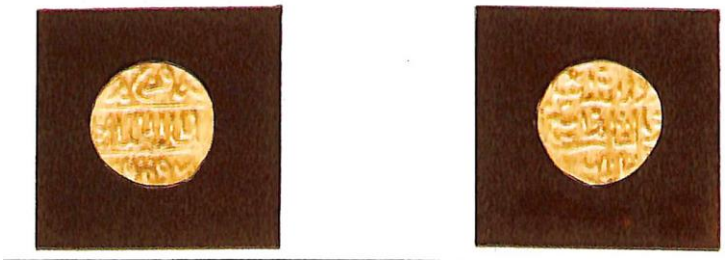

لوحة رقم 12: دينار ذهبي يعود للناصر فرج ضرب القاهرة سنة 804 هـ

لوحة رقم 13: دينار مملوكي ضرب بالقاهرة سنة (805هـ/1402م).

لوحة رقم 14: دينار مملوكي ضرب بالقاهرة سنة (810هـ/1407م).

لوحة رقم 15: دينار مملوكي ضرب بالقاهرة باسم العزيز أبو المحاسن يوسف بن برسباي.

قائمة المراجع.

- القرآن الكريم.

أولاً- المصادر والمراجع بالعربية:

- ابن اياس، محمد الحنفي. (1983). بدائع الزهور في وقائع الدهور (ج1-6). تح: محمد مصطفى. القاهرة.
- ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن الأمير سيف الدين الأتابكي اليشبقاوي الظاهري. (1963). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (مج1-16). مطبعة دار الكتب. وزارة الثقافة. مصر.
- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل. (1988). البداية والنهاية (ج1-21). ط6. مكتبة المعارف. بيروت. لبنان.
- الجابر، إبراهيم جابر. (1992). النقود العربية الإسلامية في متحف قطر الوطني. المطبعة الأهلية. الدوحة.
- حسن، على إبراهيم. (1954). مصر في العصور الوسطى. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة.
- حسن، على إبراهيم. (1967). تاريخ المماليك البحرية. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة.
- السيوطي، عبد الرحمن بن كمال الدين أبي بكر بن محمد جلال الدين. (1967). حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة (جزءان). ط1. دار احياء الكتب العربية. القاهرة.
- الشوبكي، أحمد السيد؛ طنطاوي، حسام عويس. (2011). نقود مصر الإسلامية منذ نشأتها إلى نهاية العصر المملوكي. مراجعة: أحمد عبد الرازق. كلية الآداب. جامعة عين شمس. القاهرة.
- طرخان، على إبراهيم. (1960). مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة. مكتبة النهضة المصرية.
- عاشور، سعيد عبد الفتاح. (1994). نظم الحكم والإدارة في عصر الأيوبيين والمماليك. سوسة. تونس. دار المعارف.
- عبد العظيم، محمد عبدالودود. (2009). " الكتابات والزخارف على النقود والتحف المعدنية في العصر المملوكي البحري". " ماجستير". ط1. الدار العربية للموسوعات. بيروت. لبنان.
- القلقشندي، أحمد بن علي. (1922). صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (ج1-14). دار الكتب المصرية. القاهرة.
- ماجد، عبد المنعم. (1979). نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر. ط2. مكتبة الأنجلو المصرية.
- المقريزي، أحمد بن على بن عبد القادر تقي الدين. (1997). السلوك لمعرفة دول الملوك (مج1-8). ط1. دار الكتب العلمية. لبنان.
- المقريزي، أحمد بن على بن عبد القادر تقي الدين. (1997). المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية (ج1-4). تح: محمد زينهم وآخر. ط1. مكتبة مدبولي. القاهرة.
- مهدي، شفيق. (2008). مماليك مصر والشام. ط1. الدار العربية للموسوعات. بيروت. لبنان.
- النبراوي، رأفت محمد. (2000). النقود الإسلامية منذ بداية القرن السادس وحتى نهاية القرن التاسع الهجري. ط1. مكتبة زهراء الشرق. القاهرة.

ثانياً- المراجع بالإنجليزية:

- Muir, William. (1986A.D). the mameluke Or Slave Dynasty of Egypt 1260-1517 A.D.